يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
حكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام
في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي
رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام
عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول
له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة
كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر

بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال البليغ الاندلسي في زمنه فحكي انه رام شيئا
من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على
منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس
وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها
كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة
وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في
الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)